المحاضرة الأولى

تعريف بعلم الاجتماع

النقاط الاساسيه:-

- **نشأة علم الاجتماع**
- **موضوع الدراسة في علم الاجتماع.**

نشاه علم الاجتماع :-

وفي هذه الصدد ، لا نهدف الى تتبع تاريخ الفكر الاجتماعي عامة ، حيث أن ذلك يحتاج الى اعداد مؤلف كامل حول هذا الموضوع . اذ أن تفكير الانسان في المجتمع الذي يحيط به ، تفكير قديم قدم الانسان نفسه . ويكفي القول بأن التفكير الاجتماعى قد مر في عدة مراحل حتى انتقل من المرحلة الفلسفية الى المرحلة العلمية الموضوعية .

وقبل بداية القرن الثامن عشر ، كان التفكير في دراسة المجتمع يدخل في دائرة اهتمام الفلاسفة الاجتماعيين الذين كانوا يهتمون عادة بوصف ما يجب أن يكون عليه المجتمع ، من وجهة نظرهم ، أكثر مما كانوا يهتمون بدراسة المجتمع الواقعي ، دراسة موضوعية[1] . فقد كان التفكير الاجتماعى في مراحلة الأولى ، مصطبغا بالصبغة العملية ، وكان يهتم اهتماما مباشرا بوضع قواعد للوصول الى تحقيق المجتمع المثالي ، كما كان يتصوره أفلاطون – مثلا – في كتاب « الجمهورية » ، وكما عبر عنه « توماس مور » (T. Moore) في كتاب « اليوتوبيا » (Utopia) .

ونلاحظ أن هذا التفكير الاجتماعي الفلسفي السابق على نشأة علم الاجتماع ، لم يكن تفكيرا موضوعيا (Opjective) يبحث في الظواهر الكائنة بالفعل ، بل كان تفكيرا ذاتيا (Subjective) يعبر عن المثال الأعلى الذي كان يتخيله الفيلسوف . كذلك يمكن تسميته تفكيرا معياريا (Normative) ، لأنه يضع معايير يجب الالتزام بها لتحقيق العدالة والرفاهية ، أو تفكير غائيا (Finaliste) لأنه يضع نصب عينيه الوصول الى غاية أو هدف معين

ويتضح مما سبق ، أن الفلسفة الاجتماعية Social Philosophy كانت أقدم في الظهور من علم الاجتماع . فقد نمت هذه الفلسفة نموا ملحوظا في اليونان القديمة ، وتبلورت في العصور الوسطى ، وازدهرت في القرن الثامن عشر (عصر التنوير) ، الذي سبق مباشرة مولد علم الاجتماع .

وقد بدأ علم الاجتماع في الظهور كعلم مستقل منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر . اد بدأت تظهر فكرة « القوانين الوضعية » ، والشعور بأن الظواهر الاجتماعية تخضع كغيرها من الظواهر ، لقوانين تنظيم سيرها وتطورها . وكان هذا الشعور هو العامل الحاسم في تطور الدراسات الاجتماعية وخضوعها للتفكير العلمي . وقد أخذ هذا الاتجاه العلمي يقوى شيئا فشيئا ، محاولا التغلب على الاتجاهات الفلسفية والغائية حتى استطاع أن يتغلب عليها في نهاية القرن التاسع عشر .

هذا وقد حقق علم الاجتماع تقدما حاسما خلال النصف الأول من القرن العشرين ، على يد كثير من العلماء الاجتماعيين ، أمثال : « هربرت سبنسر » (Herbert Spencer) في انجلترا ، و « اميل دوركيم » (Emile Durkeim) في فرنسا ، و « فرديناند تونيز » (Ferdinand Tonnies) و « ماكس فيبر » (Max Weber) في المانيا ، و « تولكوت بارسونز » (Talcott Parsons) و « ألفين جولدنر » (Alvin Gouldner) في الولايات المتحدة الامريكية .

ويعد المفكر العربي ابن خلدون ، أو من فطن الى أن دراسة المجتمع يمكن أن تكون موضوعا لعلم خاص . وقد اعتبر حوادث التاريخ أكبر معمل تجرى فيه التجارب الاجتماعية على سجيتها ولهذا السبب اهتم بتنقيته من الأخطاء التى علقت به ، ونادى بقيام علم جديد للمجتمع سماه « علم العمران أو الاجتماع البشري » . ويعتبر ماقام به ابن خلدون بمثابة بذر البذور ووضع القواعد لتأسيس علم اجتماع مستقل واضح المعاني . وفي مقدمته الشهيرة ، نجده يعرف التاريخ تعريفا اجتماعيا صرفا يكشف عن ادراكه المبكر لموضوع هذا العلم الجديد ، والذى يتمثل في دراسة الحياة الاجتماعية وكل ما يعرض فيها من حضارة مادية وعقلية . كما أوضح العلاقة بين هذا العلم الجديد وبين علم التاريخ من حيث أنه يفيد في ايضاح الوقائع التاريخية وتحقيقها . بل أنه قد جعل الاجتماع أساس لدراسة التاريخ كما ميز بين موضوع هذا العلم الجديد وموضوعات بعض العلوم الأخرى مثل علم الخطابة ، وعلم السياسة المدنيه .

أما مصطلح (علم الاجتماع) Sociology ، فقد صاغه « أوجيست كونت » (Auguste Comte) في القرن التاسع عشر الميلادي . وهو مصطلح مزيج من اللاتينية واليونانية ويتكون من مقطعين : يشير أولهما (Socio) الى المجتمع ، ويشير المقطع الآخر (Logy) الى العلم ، ومن ثم فان المصطلح يعطينا تعريفا أوليا لهذا العلم على أنه « علم الاجتماع » .

ومن العوامل التي أثرت في « كونت » وجعلته يفكر في انشاء هذا العلم الجديد ، تلك الظروف الاجتماعية السيئة والتغيرات الواسعة التي حدثت في المجتمع الفرنسي – في عصره – نتيجة سير هذا المجتمع في طريق التصنيع ، وما ترتب على ذلك من ظهور مشكلات اجتماعية متعددة ، مثل انفصال الناس عن أسرهم لساعات طويلة من اليوم ، والازدحام ، وسوء الاحوال السكنية . ومن ثم فكر « كونت » في انشاء علم جديد يتولى تفسير هذه التغيرات التي حدثت في المجتمع ، على أن يقوم هذا العلم بتطبيق المنهج العلمي في دراسة السلوك الانساني .

وقد قسم « كونت » علم الاجتماع الى قسمين رئيسيين هما : الاستاتيكا الاجتماعية Social Statics التي تدرس شروط وجود المجتمع ، والديناميكا الاجتماعية Social Dynamics التي تدرس حركة المجتمع المستمرة . وهذا التقسيم الذي ذهب اليه « كونت » لعلم الاجتماع هو التقسيم التقليدي – الذى كان يتبع في عصره – لعلم الفيزياء . وقد كان « كونت » يرغب في البداية أن يطلق على هذا العلم الجديد الذي يدرس المجتمع « الفيزياء الاجتماعية » Social Physics مما يوضح وجهة نظره في أن المجتمع يمكن دراسته بنفس الطريقة التي يمكن بها دراسة الظواهر المختلفة الموجودة في الكون

وعلى الرغم من اعترافنا بفضل المفكر الفرنسي « كونت » في ارساء دعائم علم الاجتماع الحديث . فقد أعطى لهذا العلم اسمه الذي يستخدم حاليا . بالاضافة الى ان تقسيمه لعلم الاجتماع لايزال يستخدم حتى الآن ، وان كان التعبير عنه يتخذ اصطلاحات مختلفة مثل البناء الاجتماعى Social Structure بدلا من الاستاتيكا الاجتماعية ، والتغير الاجتماعى Social Change بدلا من الديناميكا الاجتماعية . إلا أنه يجب أن ننظر الى المفكر العربي ابن خلدون ، على أنه المؤسس الأول لعلم الاجتماع في العالم أجمع . وقد سبق في ذلك « كونت » الذي يعده الغربيون أول مؤسس لعلم الاجتماع في الغرب ، وذلك بحوالي خمسة قرون ونصف . وقد كان ابن خلدون أول من تحدث عن علم الاجتماع بوصفه علما مستقلا ، أي له موضوع ، ومسائل ، ومنهج ، واسلوب علمي يتميز به . كما أنه لم يكن كسابقيه من المفكرين الاجتماعيين مثل افلاطون ، يتحدث عما ينبغي أن يكون في جمهوريته الفاضلة ، أو عن مجتمع مثالي تخيله ، وتخيل له تنظيما معينا

موضوع الدراسة في علم الاجتماع:- " تحفظ نقاط فقط وأسماء العلماء فيها والشرح غير مطالبين به في الاختبار "

(أ) دراســة المجتمع :

وفي هذا الصدد ، نجد أن هناك كثير من علماء الاجتماع الذين جعلوا دراسة المجتمع هو الموضوع الأساسي في علم الاجتماع . وقد سبق أن ذكرنا ان اصطلاح (علم الاجتماع) Sociology الذي وضعه « كونت » يعطينا تعريفا أوليا لهذا العلم ، على أنه « دراسة المجتمع » . كما عرف « هنرى جيدنجز » (H. Giddings) علم الاجتماع بأنه « الدراسة العلمية للمجتمع » . وعرفه أيضا « لستر وارد » (L. Ward) بأنه « علم المجتمع » . وقد أيدهم في ذلك « رينيه مونييه » (R. Maunier) الذي عرف علم الاجتماع بأنه « الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية بحسب ما تشهد به مشاهدتها في الزمان والمكان » .

(ب) دراســة النظم الاجتماعية :

ومما يؤكد أهمية دراسة النظم الاجتماعية كموضوع أساسي من موضوعات الدراسة في علم الاجتماع ، كثرة التعريفات التي وضعها علماء الاجتماع لمفهوم النظام الاجتماعي ، بالاضافة الى أن هناك من العلماء من يعرف علم الاجتماع بأنه « علم دراسة النظم الاجتماعية » . فقد ذهب الى ذلك كل من « اميل ببعض » . وقد ذهب « تيرنر » (J. H. Turner) أنه يمكن تعريف علم الاجتماع بوجه عام ، على أنه « الدراسة العلمية للعلاقات الاجتماعية بأشكالها البسيطة والمعقدة » . كما أكد « بارنز » (H. E. Barnes) على أهمية العلاقات الاجتماعية كعنصر أساسي تتكون منه الحياة الاجتماعية للانسان . ويرى أن علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك الجماعي ، أي دراسة العلاقات بين الافراد ، والعوامل التي تؤدى اليها ، وما ينشأ عنها من آثار ، على أساس ان كل فرد يتصل بغيره ويتفاعل معه

(ج) دراســة الأفعال والعلاقات الاجتماعية :

يرى كثير من علماء الاجتماع أن دراسة الأفعال والعلاقات الاجتماعية تعتبر هى الموضوع الأساسي المتميز في علم الاجتماع . فقد ذهب « موريس جنزبرج » (M. Ginsberg) الى أن علم الاجتماع هو « علم دراسة التفاعلات والعلاقات الانسانية ، ظروفها وآثارها » . كما ذهب « روبرت ماكيفر » (R. Maciver) و « تشارلز بيدج » (C. Page) الى ان علم الاجتماع هو « العلم الذي يدور حول العلاقات الاجتماعية » . ونجد أن « جون لويس جيلين » (J. L. Gillin) و « جون فيليب جيلين » (G. P. Gillin) قد عرفا علم الاجتماع بأنه « علم دراسة التفاعل الذي ينشأ عن اجتماع الكائنات الانسانية » . كما عرفه « فيـرتشايلد » (H. P. Fairchild) بأنه « علم دراسة الانسان وبيئته الانسانية في علاقتهما بعضهما

ويتضح مما سبق ، أن أغلب التعريفات السالفة الذكر ، تتميز ببساطتها وسطحيتها وقصرها موضوع الدراسة في علم الاجتماع على موضوع واحد ، قد يكون هو المجتمع بوجه عام ، أو النظم الاجتماعية ، أو الأفعال والعلاقات الاجتماعية .

وعلى عكس ما سبق ، نجد أن « انكلز » قد جعل مجالات الاهتمام في علم الاجتماع تتسع بحيث تشمل جميع وجهات النظر السالفة الذكر . فقد قام « انكلز » بدراسة جميع وجهات النظر القديمة والحديثة التي تدور حول موضوع الدراسة في علم الاجتماع ، ثم ذهب الى أن هذا العلم يهتم بثلاثة موضوعات أساسية متميزة ، يمكن ترتيبها ترتيبا تنازليا تبعا للحجم ودرجة التعقيد على النحو التالي : المجتمعات،والنظم، والعلاقات الاجتماعية .